منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة

حيوية اللغات وتعرّضها للاندثار

فريق خبراء اليونسكو الخاص المعني باللغات المهددة بالاندثار

1- في المقدمة [1]

التاريخ الحديث

إنّ مشاركة اليونسكو الفعّالة في تشجيع التنوع اللغوي[2] في العالم حديثة العهد للغاية، إلا أنها تستند إلى مبادرات تعود إلى العقدين المنصرمين. ففي الثمانينيات، من القرن الماضي، بدأت اليونسكو بتسليط الضوء على التنوّع اللغوي كعنصر حاسم من عناصر التنوّع الثقافي في العالم. وبقيادة الراحل ستيفن وورم، أطلق قسم التراث الثقافي غير المادي في اليونسكو برنامج "*الكتاب الأحمر للغات المهددة بالاندثار*". وعندما أطلقت اليونسكو مشروعاً جديداً هو "إعلان روائع التراث الشفوي وغير المادي للبشرية" عام 1997، لم تكن اللغة بحدّ ذاتها مُدرجة. إلا أنه في شهر أيلول/سبتمبر 2001، أوصى المشاركون في اللجنة الدولية لإعلان الروائع بأن تضع اليونسكو برنامجاً خاصاً باللغات المهددة بالاندثار، بالإضافة إلى مشروع الروائع. وفي العام ذاته، شدّدت الدورة الواحدة والثلاثون للمؤتمر العام لليونسكو على أهمية التنوّع اللغوي من خلال اعتماد الإعلان العالمي المتعلّق بالتنوع الثقافي وخطة عمله.

وفي المؤتمر الثاني المعني باللغات المهددة بالاندثار الذي انعقد في العام 2001 (في كيوتو كجزء من مشروع اللغات المهددة بالاندثار في المحيط الهادئ [3])، بدا واضحاً أنّ اليونسكو والمدافعين عن اللغات المهددة بالاندثار يتقاسمون الهدف نفسه، وهو تشجيع التنوع اللغوي. وخلال المؤتمر، اتفق "نوريكو أيكاوا" (Noriko Aikawa) (الذي كان يشغل آنذاك منصب مدير المركز الدولي لعلوم الإنسان)، و"مايكل كروس" (Michael Krauss)، و"أوساهيتو مياووكا" (Osahito Miyaoka)، و"أوسامو ساكياما" (Osamu Sakiyama)، و"أكيرا

Akira Yamamoto)، على أنّه آن الأوان لإطلاق نداء للتنسيق والتعاون بين المدافعين عن التنوع اللغوي وعلماء اللغة ومنظماتهم.

بدأت اليونسكو مرحلةً جديدة لمعالجة مسألة تعرّض اللغات لخطر الاندثار. وعمل فريق من علماء اللغة والمدافعين عن اللغة بالتعاون مع اليونسكو من تشرين الثاني/نوفمبر 2001 حتى آذار/مارس 2003 على وضع طُرق لتقييم حيوية اللغة، وأصدروا مجموعةً من المبادئ التوجيهية سنستعرضها لاحقاً.

شدّدت هذه الوثيقة على نقطة حاسمة مفادها أنه يتعيّن على كل المعنيين العمل يداً بيد مع المجتمعات المعنية باللغات المهددة بالاندثار في اتجاه توثيق اللغات وصونها وإحيائها. كما أن أي عمل في المجتمعات المعنية باللغات المهددة بالاندثار لا بدّ من أن يكون متبادلاً وتعاونياً.

وفي آذار/مارس 2003، نظمت اليونسكو مع اللجنة الوطنية الهولندية لليونسكو اجتماع الخبراء الدولي كجزء من برنامج صون اللغات المهددة بالاندثار [4] بهدف تحديد دور اليونسكو في دعم لغات العالم المهددة بالاندثار وتعزيزه. وضمّ المشاركون أفراداً من المجتمعات المعنية باللغات المهددة بالاندثار وعلماء لغة ومنظمات غير حكومية. وقد رمى الاجتماع بصورة خاصة إلى:

1) صياغة تعريف لتعّرض اللغات لخطر الاندثار ووضع معايير لتقييم تعّرض اللغات لخطر الاندثار (الذي نتج عن الموافقة على وثيقة "حيوية اللغات وخطر تعرّضها للاندثار")
2) مراجعة وضع اللغات في مختلف مناطق العالم
3) تحديد دور اليونسكو
4) التقدم باقتراح للمدير العام لليونسكو بشأن الآليات والاستراتيجيات الآيلة إلى صون اللغات المهددة بالاندثار وإلى صون التنوع اللغوي والثقافي في العالم وتعزيزه.

هدف الوثيقة

وُضعت وثيقة "حيوية اللغات وخطر تعرّضها للاندثار" لمساعدة المجتمعات المعنية باللغات وعلماء اللغة والمعلّمين والإداريين (بمن فيهم الحكومات المحلية والوطنية والمنظمات الدولية) على إيجاد سبُل لتعزيز حيوية اللغات المهددة. وتُتيح العوامل التسعة التي شدّدت عليها الوثيقة للأطراف المعنية تحديد الحاجات الماسة. وفي معظم الحالات، يجدر إيلاء أهمية فورية في المجالات التالية: توثيق اللغة، المواد التربوية، تدريب علماء اللغة المحليين، تدريب مدرّسي اللغات، المبادرات الجديدة للسياسات، توعية الرأي العام، الدعم التقني واللوجستي والمالي (مثلاً علماء اللغة، والمنظمات غير الحكومية، والحكومات المحلية، والمؤسسات الدولية).

المهام الراهنة والمستقبلية

يواجه العالم تحديات جديدة لإبقاء لغاته حيةً وذات مغزى. لقد آن الأوان لكي تتشارك شعوب العالم في مواردها وتستند إلى نقاط القوة القائمة على تنوّعها اللغوي والثقافي. ويترتّب عن ذلك تقاسم الموارد على كافة المستويات: الأخصائيون في لغة فردية، المجموعات اللغوية المحلية، المنظمات غير الحكومية، كما المؤسسات والمنظمات الحكومية.

يمكن لأخصائيي اللغات تحديد ما هو مطلوب وتأمين الدعم للمجتمعات المعنية باللغات لصون لغاتها وتعزيزها. وعندما تتطلّب المجموعات اللغوية الدعم لتعزيز لغاتها المهددة بالاندثار، يجدر بالأخصائيين في اللغة أن يجعلوا مهاراتهم متوافرة لكافة المجتمعات في مجال التخطيط والتنفيذ والتقييم. ويجدر بالمجموعة اللغوية والأخصائيين في لغتهم أن يشاركوا معاً في كافة مراحل عملية تنشيط اللغة، وينبغي على المنظمات الوطنية والدولية توفير الدعم لهذه النشاطات بصورة مستمرة.

شكّل اجتماع الخبراء الدولي لليونسكو الذي انعقد عام 2003 محطةً تاريخية للدفاع عن اللغات المهددة بالاندثار إذ أنه لفت انتباه الأسرة الدولية إلى مشكلة صون التنوع اللغوي. ومن جهة أخرى، أبدى قسم التراث الثقافي غير المادي في اليونسكو استعداده لتأدية دور بارز في نشر المعلومات. وقد أكّد المدير العام لليونسكو التزامه بتطوير مبادرات عامة للبرنامج الخاص باللغات المهددة بالاندثار لعامي 2004 و2005 من خلال إنشاء صندوق لأنشطة انطلاقته. وفي المستقبل القريب، سيتمّ تشكيل فريق استشاري ذي تمثيل عالمي.

يتوقّف تأثير برنامج اليونسكو الخاص باللغات المهددة بالاندثار بصورة كبيرة على المشاركة النشيطة لعلماء اللغة والمدافعين عن التنوع اللغوي، أي المشاركة النشيطة على المدى الطويل. إلا أنّ أفراد المجتمعات وليس الدخلاء هم الذي يعملون على صون لغاتهم أو يمتنعون عن ذلك. فالخيار خيارهم ليقرروا ما إذا كانوا سيُنعشون لغاتهم ويصونونها ويعزّزونها أم لا وبأية طريقة. وبذلك، تهدف هذه الوثيقة إلى أن تأتي بالفائدة على أفراد المجتمعات وعلماء اللغة المعنيين وممثلي المنظمات.

2- التنوع اللغوي مهدّد بالخطر

"أحلم بلغة "شاميكورو" (Chamicuro)
ولكن لا يمكنني أن أحكي أحلامي لأحد
لأنّ أحدا لا يتكلم لغتي، لغة "شاميكورو"
أشعر بالوحدة لأنني آخر من بقي"
(ناتاليا سانغاما " Natalia Sangama"
سيدة مسنة ناطقة بلغة "شاميكورو"، 1999)

التنوّع اللغوي ضروري للتراث الإنساني. فكل لغة تجسّد الحكمة الثقافية الفريدة التي يتمتّع بها شعب ما. وبذلك تشكّل خسارة أي لغة خسارةً للبشرية برمّتها. ولا تزال 6000 لغة تقريباً موجودة حتى اليوم، الكثير منها مهدّد بخطر الاندثار. وثمة حاجة ماسة لتوثيق اللغة، ولمبادرات جديدة في مجال السياسات، ولمواد جديدة من شأنها تعزيز حيوية هذه اللغات. إنّ الجهود التعاونية التي تبذلها المجتمعات المعنية باللغات والأخصائيون في اللغات والمنظمات غير الحكومية والحكومات ستكون ضرورية لمواجهة هذا التهديد. وثمة حاجة ماسة لبناء الدعم للمجتمعات المعنية باللغات في جهودها الرامية إلى تأمين أدوار جديدة ذات مغزى للغاتها المهدّدة بالاندثار.

تكون لغةٌ *مهددة بالاندثار* عندما تكون في طريقها نحو الانقراض. وتواجه لغة ما الخطر عندما يتوقّف ناطقوها عن التحدث بها، فيستخدمونها في عدد متدني أكثر فأكثر من مجالات التواصل، ويتوقّفون عن نقلها من جيل إلى آخر. وذلك يعني أنه ما من متحدث جديد، أكان في صفوف الكبار أو الصغار.

ينطق حوالي 97% من سكان العالم بنسبة تُقارب 4% من لغات العالم. وفي المقابل، ينطق حوالي 3% من سكان العالم بـ 96% من لغات العالم (برنار، 1996، ص 142). وبذلك، يخضع الاختلاف في لغات العالم بمعظمه لإشراف عدد ضئيل جداً من الناس. حتى اللغات التي يتكلم بها آلاف وآلاف الناطقين لم يعُد يكتسبها الأولاد. فعلى الأقلّ 50% من لغات العالم البالغ عددها 6000 لغة تخسر ناطقين بها. ونقدّر أنه يمكن استبدال حوالي 90% من اللغات بلغات سائدة في أواخر القرن الحادي والعشرين.

قد يكون خطر تعرّض اللغات للاندثار ناتجاً عن قوى خارجية كالارتهان العسكري أو الاقتصادي أو الديني أو الثقافي أو التعليمي أو قد يكون سببه القوى الداخلية كالتصرّف السلبي لمجتمع حيال لغته الخاصة. وغالباً ما تنبع الضغوطات الداخلية من ضغوطات خارجية، وكلاهما يعثّران انتقال التقاليد اللغوية والثقافية بين الأجيال. وبات الكثير من الشعوب الأصلية التي تربط وضعها الاجتماعي المحروم بثقافتها تعتقد أنّ لغاتها لا تستحقّ عناء الإبقاء عليها. فهي تهمل لغاتها وثقافاتها على أمل تخطّي التمييز لتحقيق لقمة العيش وتعزيز التعبئة الاجتماعية أو الاندماج في السوق العالمية.

ينجم عن انقراض كل لغة خسارة المعرفة الثقافية والتاريخية والبيئية الفريدة التي لا تُعوّض. فكل لغة هي تعبير فريد عن التجربة البشرية للعالم. وبذلك، إنّ معرفة أي لغة قد تشكّل المفتاح للإجابة عن الأسئلة الأساسية التي يطرحها المستقبل. وكلما انقرضت لغة، قلّت البراهين التي تمكّننا من فهم أنماط تركيبة اللغة البشرية ووظيفتها، والإنسان قبل التاريخ، وصون مختلف الأنظمة البيئية في العالم. فضلاً عن ذلك، قد يعتبر الناطقون بهذه اللغات خسارة لغتهم كخسارة هويتهم العرقية والثقافية الأصلية (برنار، 1992 وهايل، 1998).

تتكلّل الأعمال الآيلة إلى تفادي خسارة اللغة وإلى صون التنوع اللغوي بالنجاح فقط إذا تسنّى تأمين أدوار معاصرة ذات مغزى للغات الأقليات لسدّ متطلّبات الحياة العصرية ضمن المجتمع وكذلك في السياقين الوطني والعالمي. وتتضمّن الأدوار المعاصرة ذات المغزى استخدام هذه اللغات في حياتنا اليومية وفي التجارة والتعليم والكتابة والفنون و/أو وسائل الإعلام. ويكون الدعم الاقتصادي والسياسي للمجتمعات المحلية والحكومات الوطنية على حدّ سواء ضرورياً لتأمين مثل هذه الأدوار.

ثمة حاجة ماسة في كافة الدول تقريباً لمعلومات موثوقة أكثر بشأن وضع لغات الأقليات كأساس للجهود الرامية إلى دعم اللغة على كافة المستويات.

الخلفية

يتضمّن الميثاق التأسيسي لليونسكو صون التنوع اللغوي واستمراريته كمبدأ أساسي في سبيل:

"المساهمة في صون السلم والأمن بالعمل، عن طريق التربية والعلم والثقافة، على توثيق عرى التعاون بين الأمم، لضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية لكافة الناس دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين، كما أقرها ميثاق الأمم المتحدة لسائر الشعوب." (الميثاق التأسيسي لليونسكو، المادة الأولى)

ويشرح "نوريكو أيكاوا" (2001، ص 13) أنه، "وفقاً لهذا المبدأ، طوّرت اليونسكو برامج ترمي إلى تعزيز اللغات كأدوات للتعليم والثقافة، وكوسيلة هامة يمكن من خلالها المشاركة في الحياة الوطنية".

تضمّنت هذه البرامج *الكتاب الأحمر للغات المهددة بالاندثار*. ويرمي المشروع إلى:

1) جمع معلومات حول اللغات المهددة بالاندثار بشكل منتظم (بما في ذلك وضع اللغات ودرجة الطوارئ للقيام بالبحث)؛

2) تطوير الأبحاث وجمع المواد حول اللغات المهددة التي لم تحظ أو بالكاد بأي نشاط يذكر، مثل اللغات النائية وغيرها، لاسيما تلك التي لها أهمية علمية للمقارنة من وجهة نظر علوم الألسنيات الرمزية والتاريخية، وكذلك اللغات المهددة بالاندثار المباشر؛

3) الاضطلاع بنشاطات ترمي إلى تشكيل لجنة مشروع عالمية وشبكة من المراكز الإقليمية كمراكز اتصال لمناطق كبيرة على أساس الاتصالات الموجودة؛

4) تشجيع نشر المواد ونتائج الدراسات التي أُجريت حول اللغات المهددة بالاندثار.

إلا أنّ مشروع *الكتاب الأحمر* لا يأتي على ذكر هدف حاسم وهو العمل مباشرةً مع المجتمعات المعنية باللغات المهددة بالاندثار في اتجاه صون اللغة وتطويرها وإحيائها واستمراريتها. ولا بدّ لأي بحث في المجتمعات المعنية باللغات المهددة بالاندثار أن يكون متبادلاً ومتعاوناً. ويترتّب على التبادل في هذا الإطار ألا يقدّم الباحثون خدماتهم فحسب مقابل ما يحصلون عليه من المجموعة اللغوية بل أن يشاركوا بنشاط أكبر في المجتمع لجهة تصميم مشاريعهم البحثية وتنفيذها وتقييمها.

كما سبق وذكرنا، أقرّ المؤتمر العام لليونسكو بالإجماع في تشرين الأول/أكتوبر 2001 الإعلان العالمي المتعلق بالتنوع الثقافي، معترفاً بوجود صلة بين التنوع البيولوجي والتنوع الثقافي والتنوع اللغوي. وتوصي خطة العمل المرتبطة بأن تعمل الدول الأعضاء والمجموعات اللغوية، على اتخاذ خطوات لضمان ما يلي:

1) استدامة التنوع اللغوي للبشرية وتوفير الدعم للتعبير عن أكبر عدد ممكن من اللغات وابتكارها ونشرها؛

2) تشجيع التنوع اللغوي على كافة مستويات التعليم كلما أمكن وتشجيع تعلّم لغات عدة في أصغر سن ممكن؛

3) دمج التربية التقليدية في المسيرة التعليمية عند الاقتضاء، بهدف الحفاظ على وسائل الاتصال المناسبة ثقافياً ونقل المعرفة والاستفادة منها على أكمل وجه. وإذا سمحت المجموعات اللغوية، تشجيع الوصول العالمي إلى المعلومات في المجال العام من خلال الشبكة العالمية، بما فيها تعزيز التنوع اللغوي في المجال السيبرني.

دعم اللغات المهدّدة بالاندثار

دور الجماعات اللغوية

في كافة أنحاء العالم، يُهمل أفراد الأقليات العرقية-اللغوية بصورة متزايدة لغتهم الأم لصالح لغات أخرى، بما فيها خلال تربية الأطفال والتعليم غير النظامي.

ومن بين المجتمعات العرقية-اللغوية، يمكن مراقبة مجموعة متنوّعة من الآراء حيال الفرص المستقبلية للغتها. ويعتبر بعض الناطقين باللغات المهددة بالاندثار أنّ لغتهم الأم تتراجع وأنها غير عملية. غالباً ما تكون هكذا وجهات نظر سلبية متصلةً اتصالاً مباشراً بالضغط الاجتماعي-الاقتصادي الذي يمارسه مجتمع اللغة السائدة. إلا أنّ ناطقين آخرين بلغات مهددة بالاندثار

يحاولون مباشرةً مواجهة هذه المخاطر التي تهدّد لغتهم والالتزام بأنشطة استقرار اللغة وإحيائها. وقد تشكّل هذه المجتمعات بيئات، كمراكز للعناية اليومية ومدارس أو على الأقلّ صفوف يتمّ فيها التحدث بلغتهم بصورة حصرية.

في نهاية المطاف، إن المتحدثين وليس الدخلاء من يصونون لغتهم أو يهملونها. ومع ذلك، إذا طلبت المجتمعات الدعم لتعزيز لغاتها المهددة، فيجدر بأخصائيي اللغة أن يضعوا مهاراتهم بتصرّف هذه الأقليات العرقية– اللغوية ويعملوا معها.

الخبراء والجماعات اللغوية

يعتبر خبراء اللغة، لاسيما علماء اللغة والمربّون والناشطون أنّ مهمتهم الأولى هي التوثيق. وهذا يشمل جمع البيانات المتعلّقة باللغات المهددة بالاندثار وشرحها وتحليلها. أما المهمة الثانية، فترتّب عليهم مشاركتهم الفعالة في البرامج التعليمية.

ويطالب أبناء اللغة الناطقون بها بوضع شروط وقواعد للبحوث، كما أنهم يطالبون بحقوقهم بنتائج هذه البحوث واستخدامها المستقبلي. ويطالبون مثلاً باكتساب الحق في القبول الواعي وحق النقض. ويريدون معرفة كيف ستعود عليهم النتائج بالفائدة، كما يريدون أن يتمتّعوا بالقدرة على تحديد كيفية نشر نتائج البحوث. وإضافة إلى ذلك، يرغبون في علاقة متكافئة مع الباحثين من الخارج ويريدون أن يكونوا أصحاب أدوار أساسية في سيرورة يتحكمون هم بها ولا أحد غيرهم.

ما العمل؟

تماماً كما يتفاعل أفراد الجماعات اللغوية تفاعلاً مختلفاً مع تعرّض اللغات لخطر الاندثار، كذلك يتفاعل علماء اللغات والناشطون مع طلبات المساعدة التي تتقدم بها الجماعات اللغوية. وتتّصل هذه الطلبات بصورة خاصة بخمسة مجالات أساسية لتعزيز اللغات المهددة بالاندثار:

1- التدريب اللغوي والتربوي الأساسي: تأمين مدرّسي لغات مدرّبين على علم اللغة الأساسية، وطُرق وتقنيات تدريس اللغة، وتطوير المناهج المدرسية، وتطوير المواد التعليمية

2- تحقيق التنمية المستدامة في محو الأمية ومهارات التوثيق المحلي: تدريب عاملي اللغة المحليين على تطوير علم الإملاء إذا اقتضى الأمر وقراءة لغاتهم الخاصة وكتابتها وتحليلها، وإنتاج مواد تربوية. تقضي إحدى الاستراتيجيات الفعالة في هذا المجال بتأسيس مراكز البحوث المحلية حيث سيتمّ تدريب المتحدثين باللغات المهددة بالاندثار لدراسة موادهم التعليمية الخاصة وتوثيقها وحفظها. إنّ محو الأمية لمفيد لتدريس مثل هذه اللغات وتعلّمها.

3- دعم سياسة لغوية وطنية وتطويرها: يجدر بالسياسات اللغوية الوطنية دعم التنوع اللغوي، بما فيها اللغات المهددة بالاندثار. ينبغي أن يشارك عدد أكبر من الباحثين الاجتماعيين وعلماء الإنسان والمتحدثين باللغات المهددة بالاندثار مشاركةً فعالة في صياغة سياسات لغوية وطنية.

4- دعم السياسة التعليمية وتطويرها: شارك عدد من الأخصائيين في قطاع التربية لليونسكو في تطبيق برامج شعبية لتدريس اللغة الأم. و ساعدت اليونسكو منذ العام 1953، وخصوصا في السنوات الخمسة عشرة الماضية، في هذا التطوير من خلال المواقف التي اتخذتها. إلا أنّ تدريس اللغة الأم غالباً ما لا يشير إلى تدريس لغات الأجداد في الأقليات العرقية-اللغوية (أي اللغات المهددة بالاندثار)، بل إلى تدريس هذه اللغات كمواضيع مدرسية. إنّ النموذج التعليمي الأكثر شيوعاً لتدريس أطفال الأقلية العرقية-اللغوية في المدارس لا يزال يستخدم اللغات السائدة على

5- تحسين الظروف المعيشية واحترام حقوق الإنسان في المجموعات اللغوية: مع أن لا علاقة لهم مباشرة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولكن بإمكان علماء اللغات مساعدة الحكومات على تحديد السكان المهمشين. على سبيل المثال، غالباً ما لا تأخذ برامج التوعية حيال فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز أو برامج التخفيف من حدّة الفقر مجتمعات الأقليات بالاعتبار، لاسيما إذا كانت هذه المجتمعات يغلب عليه طابع الأمّية. ويمكن علماء اللغات والمربّون أن يكونوا وسطاء حيويين من خلال دعم المجتمعات في صياغة مطالب بشأن حقوقها اللغوية والحقوق الإنسانية الأخرى. في المقابل، تتطلّب المواد مثل تلك الخاصة بالرعاية الصحية أو تطوير المجتمع أو تدريس اللغة التي أُنتجت لهذه المجتمعات المهمّشة مساهمة الأخصائيين. ولا بدّ من نقل المفاهيم والمحتوى بطريقة ذات مغزى ثقافياً.

التنوع اللغوي والتنوع البيئي

من بين تسعمائة إقليم إيكولوجي حددها الصندوق العالمي للطبيعة، هناك 238 (يُشار إليها بالأقاليم الإيكولوجية العالمية المائتين) ذات أهمية بالغة لصون الحيوية الإيكولوجية في العالم. ومن بين الأقاليم الإيكولوجية العالمية المائتين هذه، نجد عدداً كبيراً من المجموعات العرقية اللغوية. إنها شعوب اكتسبت معرفةً إيكولوجية غنية حول تاريخ حياتها الطويل في بيئتها.

ومن المجدي وضع رسم بيان للموازاة الممكنة بين الحفظ البيولوجي والحفظ اللغوي. فلا يكتشف الباحثون الموازاة بينهما فحسب، بل أيضاً الروابط بين التنوع البيولوجي في العالم والتنوع اللغوي/الثقافي، بالإضافة إلى أسباب فشل التنوع على كافة المستويات ونتائجه. إنّ الرابط هام بحدّ ذاته لأنه يفترض أنّ التنوع في الحياة هو كناية عن التنوع في الطبيعة والثقافة واللغة. هذا ما أطلقت عليه لويزا مافي اسم "التنوع البيولوجي الثقافي". وأدخل مايكل كروس مصطلح "المحيط اللغوي" لوصف الشبكة التي تربط لغات العالم (مشابهة لـ"المحيط الحيوي"، الشبكة التي تربط الأنظمة الإيكولوجية في العالم، مافي، كروس، ويامامونو، 2001، ص 74).

التوثيق، أداة صون

تستحقّ اللغة، التي لم يعُد بالإمكان صونها وتأمين استمراريتها وتنشيطها، أن توثق على أكمل وجه ممكن. وذلك لأنّ كل لغة تجسد معرفةً ثقافية وإيكولوجية فريدة. وتوثيق اللغة في هذا الصدد أمر هام لأسباب عدّة: 1- يُغني الخزانة الفكرية، 2- يقدّم منظوراً ثقافياً قد يكون جديداً على معارفنا الحالية، 3- ويساعد العلماء الألسنيين على إعادة تنشيط معارفهم اللغوية والثقافية.

تقييم تعرّض اللغات لخطر الاندثار والحاجة الماسة الى التوثيق

تنبيه

إنّ المجموعات اللغوية معقّدة ومتنوعة. حتى أنّ تقييم عدد المتحدثين بلغة يتّسم بالصعوبة. هناك ستة عوامل لتقييم مدى حيوية لغة أو تعرّضها لخطر الاندثار، وعاملان آخران لتقييم السلوك اللغوية، وعامل إضافي لتقييم الحاجة الماسة إلى التوثيق. إذا ما جُمعت معاً، تكون هذه العوامل التسعة مفيدة لتمييز الوضع الاجتماعي اللغوي الشامل للغة ما. ولا يمكن استخدام عامل واحد فقط لتقييم حيوية اللغة أو ضرورة توثيقها.

تقييم حيوية اللغة: عوامل التقييم الرئيسة

ثمة ستة عوامل رئيسة لتقييم حيوية اللغة، ولا يمكن استخدام أيّ منها على حدة. إنّ اللغة المصنّفة في مرتبة عالية استناداً إلى معيار واحد قد تستحقّ انتباهاً مباشراً وطارئاً على حساب عوامل أخرى. إنّ العوامل الستة المحدّدة هنا هي التالية:

1) انتقال اللغة عبر الأجيال
2) العدد المُطلق للناطقين بها
3) نسبة الناطقين من إجمالي عدد السكان
4) التغييرات في مجالات استخدام اللغة
5) مواجهة مجالات ووسائل إعلام جديدة
6) مواد لتدريس اللغة ومحو الأمية

العامل الأول: انتقال اللغة عبر الأجيال

إنّ العامل الأكثر استعمالاً في تقييم حيوية لغة هو ما إذا كانت تنتقل من جيل إلى آخر أم لا (فيشمان، 1991). ويمكن تصنيف تعرّض اللغات لخطر الاندثار على مقياس قائمة تدريجية تتراوح من الاستقرار إلى الانقراض. حتى أنّ كلمة "آمنة" لا تؤمّن حيوية اللغة لأنّ المتحدثين قد يتوقّفون أحياناً عن نقل لغتهم إلى الجيل المقبل. يمكن التمييز بين ستّ درجات من خطر اندثار اللغات في مجال انتقال اللغة عبر الأجيال:

آمنة (5): تتحدّث كافة الأجيال اللغة. إنّ انتقال اللغة عبر الأجيال هو مستمرّ ولا ينقطع.

مستقرة - مهددة (5-): تتحدّث اللغة كافة الأجيال في كافة السياقات، ويكون انتقالها عبر الأجيال غير منقطع، إلا أنّ تعدّد اللغات في اللغة الأم ووجود لغة أو عدة لغات سائدة قد احتكر بعض أطر الاتصالات الهامة. يُذكر أنّ تعدّد اللغات وحده لا يشكّل بالضرورة خطراً على اللغات.

متزعزعة (4): يتكلم معظم الأولاد أو العائلات من مجتمع معيّن وليس جميعهم لغة الوالدين كلغة أولى، إلا أنّ ذلك قد يقتصر على مجالات اجتماعية معينة (كالمنزل الذي يتواصل فيه الأولاد مع أهلهم وأجدادهم).

بحالة خطر (3): لا يتعلّم الأولاد اللغة كلغتهم الأم في المنزل. وبذلك، يكون المتحدثون الأصغر سناً من جيل الأهل. وفي هذه المرحلة، قد يكون الأهل ما زالوا يتكلمون لغتهم مع أطفالهم، إلا أنّ الأولاد لا يجيبون بهذه اللغة.

بحالة خطر شديد (2): يتكلّم الأجداد فقط والأجيال الأكبر سناً اللغة. وفي وقت لا يزال فيه جيل الأهل يفهم اللغة، لا يتكلم بها مع الأولاد أو في ما بينهم.

منازعة (1): إنّ صغار المتحدثين هم من جيل الأجداد القُدامى، ولا تُستعمل اللغة لحياتهم اليومية. وغالباً ما يتذكر هؤلاء المسنّون جزءاً بسيطاً من اللغة إلا إنهم لا يستعملونها بصورة منتظمة، إذ أنّ قليلين هم الذين يمكن التحدث معهم.

منقرضة (0): ليس هناك من أحد بوسعه تحدث اللغة أو تذكّرها.

درجة حيوية اللغة	الدرجة	السكان الناطقون باللغة
آمنة	5	تستخدم اللغة كافة الفئات العمرية، بمن فيها الأولاد
متزعزعة	4	يستخدم بعض الأولاد اللغة في كافة المجالات، ويستخدمها جميع الأولاد في مجالات محدودة
بحالة خطر	3	يتكلّم اللغة على الأغلب جيل الأهل والأكبر منهم
بحالة خطر شديد	2	يتكلّم اللغة على الأغلب جيل الأجداد والأكبر منهم
منازعة	1	يعرف اللغة قلائل من جيل الأجداد القُدامى
منقرضة	0	لم يبقَ أي ناطق بها

العامل الثاني: العدد المطلق للناطقين

تواجه مجموعة لغوية صغيرة الخطر بصورة دائمة. ويكون عدد السكان الصغير معرّضاً لهلاك القسم الأعظم منه (من جرّاء المرض أو الحرب أو الكوارث الطبيعية على سبيل المثال) أكثر من عدد السكان الأكبر. ويمكن أيضاً مجموعة لغوية صغيرة أن تندمج بسهولة مع مجموعة محيطة، فتتخلّى عن لغتها وثقافتها.

العامل الثالث: عدد الناطقين من إجمالي عدد السكان

يشكّل عدد الناطقين بلغة الأجداد من إجمالي سكان مجموعة عرقية لغوية ما مؤشراً هاماً لحيوية اللغة. ويمكن استعمال المقياس التالي لتقييم درجة تعرّض اللغة للاندثار.

نسبة حيوية اللغة	الدرجة	نسبة الناطقين من إجمالي عدد السكان
آمنة	5	الجميع يتكلم اللغة
متزعزعة	4	الجميع تقريباً يتكلم اللغة
بحالة خطر	3	غالبية تتكلم اللغة
بحالة خطر شديد	2	أقلية تتكلم اللغة
منازعة	1	قليلون هم الذين يتكلمون اللغة
منقرضة	0	لا أحد يتكلم اللغة

العامل الرابع: التغييرات في مجالات استخدام اللغة

تُعتبر عناصر مثل أين ومع من يمكن استخدام اللغة ومجموعة المواضيع التي يمكن للناطقين معالجتها عبر استخدام اللغة ذات تأثير مباشر على انتقال اللغة إلى الجيل المقبل. ويمكن تحديد النسب التالية لخطر اندثار اللغة:

الاستخدام الشامل (5): تُستخدم اللغة في جميع المجالات.

المساواة بين لغات متعددة (4): تكون لغة أو لغات عدة سائدة وليست لغة المجموعة العرقية اللغوية هي اللغة الرئيسة أو اللغات الرئيسة في معظم المجالات الرسمية: الحكومة، المناصب العامة، والمؤسسات التعليمية. إلا أنه يمكن للغة المعنية أن تبقى مُستعملة في عدد من المجالات العامة، لاسيما في المؤسسات أو الممارسات الدينية التقليدية، والمتاجر المحلية، والأماكن التي يقيم فيها أفراد مجتمع علاقات اجتماعية مع الآخرين. إنّ تعايش اللغات السائدة وغير السائدة يؤدي إلى استخدام المتحدث كل لغة في وظائف مختلفة (ما يُعرف بـ"diglossia" أي ازدواج اللغوي)، فيما تُستخدم اللغة غير السائدة في السياقين غير الرسمي والمنزلي واللغة السائدة في السياقين الرسمي والعام. وقد يعتبر المتحدثون اللغة السائدة لغة الفرص الاجتماعية والاقتصادية. إلا أنّ أفراداً في المجتمع أكبر سناً قد يستمرّون في استخدام لغة الأجداد. جدير بالذكر أنّ تعدّد اللغات، وهو شائع في كافة أنحاء العالم، لا يؤدي بالضرورة إلى خسارة اللغة.

المجالات المنحسرة (3): تخسر اللغة غير السائدة من شعبيتها أكثر فأكثر، ويبدأ الأهل في المنزل باستخدام اللغة السائدة في تفاعلاتهم اليومية مع أولادهم. وبذلك، يصبح الأولاد متحدثين بضعف للغتهم الأم. ويميل الأهل والأفراد الأكبر سناً في المجتمع إلى أن يكونوا ثنائيي اللغة بطريقة مُثمرة إذ يتكلمون اللغة السائدة واللغة الأصلية: فهم يفهمون ويتكلمون كلا اللغتين. ويمكن إيجاد الأولاد الثنائيي اللغة في العائلات التي تُستخدم فيها اللغة الأصلية بنشاط.

المجالات المحدودة أو الرسمية (2): قد تكون لغة الأجداد لا تزال تُستخدم في المراكز المجتمعية وفي المهرجانات والمناسبات الاحتفالية التي يتسنّى فيها لأفراد المجتمع الأكبر سناً فرصة الالتقاء. وقد يشمل المجال المحدود أيضاً المنازل التي يعيش فيها الأجداد وأفراد آخرون مسنّون من الأسرة الممتدّة. ويمكن أشخاص كثيرون أن يفهموا اللغة، إلا أنهم يعجزون عن التحدّث بها.

المجالات المحدودة جداً (1): يمكن استخدام لغة الأجداد في مجالات محصورة للغاية خلال مناسبات خاصة، وغالباً ما يستخدمها القليل من الأفراد، كقادة الطقوس في مناسبات احتفالية على سبيل المثال. وقد يتذكّر أفراد آخرون شرذمات من هذه اللغة ويمكن تسميتهم بأصحاب الذاكرة اللغوية.

منقرضة (0): لا يمكن تكلّم اللغة في أي مكان وأي زمان.

نسبة حيوية اللغة	الدرجة	السكان الناطقون
الاستخدام الشامل	5	تُستخدم اللغة في كافة المجالات ولكافة الوظائف
التكافؤ بين اللغات المتعددة	4	يمكن استخدام لغتين أو أكثر في معظم المجالات الاجتماعية ولمعظم الوظائف. وغالباً ما تكون لغة الأجداد نادرة في المجال العام
المجالات المنحسرة	3	تُستخدم لغة الأجداد في المجالات المنزلية ولوظائف عدة، إلا أنّ اللغة السائدة بدأت بولوج المجالات المنزلية
المجالات المحدودة أو الرسمية	2	تُستخدم اللغة في مجالات اجتماعية محدودة ولوظائف عدة
المجالات المحدودة جداً	1	تُستخدم اللغة في مجالات محصورة للغاية ولوظائف قليلة جداً
منقرضة	0	لا تُستخدم اللغة في أي مجال على الإطلاق

يُذكر أنّ تعدّد اللغات هو حقيقة من حقائق الحياة في معظم مناطق العالم. ولا يتوجب على المتحدثين أن يتكلّموا لغة واحدة لتّتسم لغتهم بالحيوية. ومن الضروري أن تؤدي اللغة الأصلية وظيفةً ذات مغزى في مجالات هامة ثقافياً.

العامل الخامس: مواجهة مجالات ووسائل إعلام جديدة

قد تبرز مجالات جديدة لاستخدام اللغة إذ أنّ أحوال المجتمعات تتغيّر. ففي وقت تنجح فيه بعض المجتمعات اللغوية في توسيع لغتها إلى المجال الجديد، لا يفلح معظمها في القيام بذلك. وغالباً ما تؤدي المدارس وبيئات العمل ووسائل الإعلام الجديدة، بما فيها الوسائل السمعية والبصرية والإنترنت، إلى توسيع مجال اللغات السائدة وسلطتها فقط على حساب كل اللغات الأخرى. ومع أنه لا يمكن خسارة مجالات موجودة للغة المهددة بالاندثار، فإنّ استخدام اللغة السائدة في حيز جديد له قوة الجذب والانبهار، كما هو الحال مع التلفزيون مثلاً. وإذا كانت اللغة التقليدية لمجتمع ما لا تواجه تحديات الحداثة، تصبح دون صلة على نحو متزايد. يستعرض الجدول أدناه درجات تعرّض اللغة لخطر الاندثار.

نسبة حيوية اللغة	الدرجة	المجالات الجديدة ووسائل الإعلام التي وافقت عليها اللغة المهددة بالاندثار
دينامية	5	تُستخدم اللغة في كافة المجالات الجديدة
قوية /نشيطة	4	تُستخدم اللغة في معظم المجالات الجديدة
جاذبة	3	تُستخدم اللغة في العديد من المجالات
متكيفة	2	تُستخدم اللغة في بعض المجالات الجديدة
حد أدنى	1	تُستخدم اللغة فقط في القليل من المجالات الجديدة
جامدة	0	لا تُستخدم اللغة في أي مجال جديد على الإطلاق

في مجال التعليم، يستند تخصيص المعايير إلى بُعدين: إلى أي مستوى وإلى أي نطاق يمكن استخدام اللغة المهدّدة بالاندثار في المناهج المدرسية؟ إنّ اللغة المهددة بالاندثار التي هي وسيلة تدريس لكافة الصفوف والمستويات ستفوق مرتبةً اللغة المهددة بالاندثار التي تُدرّس فقط لمدة ساعة في الأسبوع.

يجب أخذ كافة المجالات الجديدة في الاعتبار، سواء في التوظيف أو التعليم أو وسائل الإعلام، أثناء تقييم ردود أفعال مجموعة من الناس أصبحت لغتها في حالة خطر.

العامل السادس: مواد تدريس اللغة ومحو الأمية

إنّ التعليم في اللغة ضروري لتأمين حيوية اللغة. ثمة مجتمعات لغوية لا ترغب في كتابة لغتها على الرغم من التقاليد الشفوية القوية. وفي مجتمعات أخرى، يشكّل محو الأمية مصدر فخر. إلا أن محو الأمية مرتبط بشكل عام مباشرةً بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية. فالكتب والمواد ضرورية بشأن كافة المواضيع ولكافة الفئات العمرية والمستويات اللغوية.

الدرجة	إمكانية الوصول إلى النصوص المكتوبة
5	ثمة تقليد في علم اللغة من صرف ونحو وإملاء، وقراءة وكتابة، بما في ذلك مجالات التأليف والإبداع، وواقع الحياة، ووسائل الإعلام اليومية. تُستخدم اللغة في الإدارة والتعليم.
4	تتوافر مواد مكتوبة في المدرسة، ويمكن للأولاد أن يتعلموا قراءة اللغة وكتابتها. ولا تُستخدم اللغة في الإدارة.
3	تتوافر نصوص مكتوبة للغة، وقد يطّلع الأولاد على شكلها المكتوب في المدرسة، من دون أن يتعلموا بها أو أن يكون هناك وسائل إعلام ناطقة بها.
2	تتوافر النصوص المكتوبة، لكنها قد تُجدي نفعاً فقط لبعض أفراد المجتمع. أما بالنسبة للآخرين، فقد يكون لها قيمة رمزية. لا يشكل تعليم القراءة والكتابة للغة جزءاً من المناهج المدرسية.
1	المجتمع المحلي ملم بقواعد الصرف والنحو وثمة مواد مكتوبة قيد الطبع والتحضير.
0	لا كتابة للغة.

السلوك والسياسات اللغوية

قد تفرض ثقافة لغوية سائدة، أكانت إقليمية أم وطنية، صون اللغات غير السائدة وتعزيزها أو إهمالها. وقد تشكّل السياسات اللغوية لدولة ما مصدر وحي للأقليات اللغوية لتقوم بتعبئة شعوبها في اتجاه صون لغاتها، أو ترغمها على إهمالها. وتشكّل هذه التصرفات اللغوية قوةً جبارة لتعزيز اللغات وخسارتها في آن.

يحدّد أفراد الثقافة السائدة البيئة الإيديولوجية، وغالباً ما ينشرون نظام قيم تُعتبر فيه لغتهم الأم مصدر قوة إيجابيا ويُعتقد أنها تشكّل رمزاً موحداً للمنطقة أو البلد. وعندما تتنافس عدة مجتمعات لغوية أكبر على المجال السياسي أو الاجتماعي نفسه، قد يكون لكلّ منها تصرفاتها اللغوية المتضاربة. وهذا يؤدي إلى تصوّر عام بأنّ مجموعةً متنوعة من اللغات تتسبّب بالشقاق وتشكّل خطراً على الوحدة الوطنية. يُعتبر تعزيز لغة واحدة سائدة بمثابة محاولة للتعامل مع هذا التهديد الحقيقي أو المُحتمل. وبذلك، يمكن الهيئة الحاكمة تشريع استخدام اللغة. ووفقاً لذلك، قد تُحبط السياسات أو حتى تمنع استخدام لغات أخرى. وللسياسة الوطنية في أي حال، بما فيه غياب السياسة العلنية، تأثير مباشر على التصرّف اللغوي للمجتمع نفسه.

تقييم السلوك اللغوي

إنّ عاملَي تقييم التصرفات والسياسات اللغوية الخاصة باللغات السائدة وغير السائدة هما: (7) التصرفات والسياسات اللغوية الحكومية والمؤسسية، بما فيها وضعها الرسمي واستخدامها و (8) تصرفات أفراد المجتمع حيال لغتهم الخاصة.

العامل السابع: السلوك والسياسات اللغوية الحكومية والمؤسسية، بما فيها وضعها الرسمي واستخدامها

قد يكون للبلد سياسة صريحة لتنوّعه الكبير باللغات. فمن جهة، يمكن تحديد لغة على أنها اللغة الرسمية الوحيدة في البلد، فيما تكون كافة اللغات الأخرى مهملة. ومن جهة أخرى، قد تحظى كل لغات بلد ما بوضعية رسمية متكافئة. إلا أنّ الوضعية القانونية المتكافئة لا تضمن صون اللغة أو حيويتها على المدى الطويل. ويمكن تصنيف الدعم الرسمي للغات السائدة وغير السائدة وفقاً للجدول التالي:

الدعم المتكافئ (5): تُقيّم كل لغات بلد على أنها موجودة ويعمل القانون على حماية كل اللغات، وتشجع الحكومة على صون اللغات كلها من خلال تنفيذ سياسات صريحة؛

الدعم المتباين (4): تعمل الحكومة صراحةً على حماية اللغات غير السائدة، إلا أنه ثمة تباينات واضحة في السياقات التي تُستخدم فيها اللغة (أو اللغات) السائدة/ الرسمية واللغة (أو اللغات) غير السائدة (المحمية). وتشجع الحكومة المجموعات العرقية-اللغوية على صون لغاتها واستخدامها، وغالباً ما يكون ذلك في المجالات الخاصة أكثر منه في المجلات العامة. وتتمتّع أيضاً بعض مجالات اللغة غير السائدة باعتبار كبير (كالمناسبات الاحتفالية على سبيل المثال)؛

التلقي السلبي(3): لا تبالي السلطات المركزية بما إذا كانت لغات الأقليات محكية طالما أنّ اللغة السائدة هي لغة التفاعل في المجال العام. وتكون لغة المجموعة السائدة هي في الواقع اللغة الرسمية. ولا تتمتّع اللغات غير السائدة باعتبار كبير؛

التلقي المتفاعل(2): تشجع الحكومة مجموعات الأقليات على إهمال لغاتها الخاصة من خلال توفير التعليم لأفراد مجموعات الأقليات باللغة السائدة فقط. لا يتمّ تشجيع تكلّم و/ أو كتابة اللغات غير السائدة؛

التلقي الإلزامي (1): للحكومة سياسة لغوية صريحة من شأنها دعم اللغة السائدة فيما تفتقر اللغات غير السائدة إلى الاعتراف بها والدعم؛

الحظر (0): يُحظر استخدام لغات الأقليات في أي مجال. ويمكن السماح باستخدام اللغات في المجالات الخاصة وحدها.

نسبة الدعم	الدرجة	المواقف الرسمية حيال اللغة
الدعم المتكافئ	5	كل اللغات تحظى بالحماية
الدعم المتباين	4	يتمّ حماية اللغات غير السائدة بالدرجة الأولى بصفتها لغة المجال الخاص. إنّ استخدام اللغة غير السائدة أمر مرموق
التلقي السلبي	3	لا تتوافر سياسة صريحة للغات الأقليات، وتسود اللغة السائدة في المجال العام
التلقي المتفاعل	2	تشجع الحكومة استيعاب اللغة السائدة. لا تحظى لغات الأقلية بأية حماية
التلقي الإلزامي	1	اللغة السائدة هي اللغة الرسمية الوحيدة، فيما تفتقر اللغات غير السائدة إلى الاعتراف بها وإلى الدعم
الحظر	0	يُحظر استخدام لغات الأقليات

العامل الثامن: مواقف أفراد المجتمع حيال لغتهم الخاصة

لا يكون أفراد المجموعة اللغوية إجمالاً حياديين حيال لغتهم الخاصة، فقد يعتبرونها ضرورية لمجتمعهم وهويتهم فيعززونها. وقد يستخدمونها من دون تعزيزها. وقد يخجلون منها وبذلك يمتنعون عن تعزيزها، أو يعتبرونها إزعاجاً فينشطون في تفادي استخدامها.

عندما تكون تصرّفات الأفراد حيال لغتهم إيجابية للغاية، يمكن اعتبار اللغة رمزاً كبيراً من رموز هوية المجموعة. وتماماً كما يقدّر الأشخاص التقاليد العائلية، والمهرجانات، والحفلات المجتمعية، قد يعتبر أفراد المجتمع أنّ لغتهم ذات قيمة ثقافية أساسية، وأنها حيوية لمجتمعهم وهويتهم الإثنية. أما إذا اعتقد الناس أنّ لغتهم هي عائقً يحول دون التعبئة الاقتصادية والتكامل في المجتمع السائد، قد يأخذون مواقف سلبية حيالها. يمكن تقييم مواقف أفراد المجتمع حيال لغتهم وفقاً للجدول التالي:

الدرجة	مواقف أفراد المجتمع حيال لغتهم
5	يقدّر كافة الأفراد لغتهم ويرغبون في تعزيزها
4	يدعم معظم الأفراد عملية صون اللغة
3	يدعم الكثير من الأفراد صون اللغة، فيما لا يبالي بها كثيرون أو حتى يدعمون تغييرها
2	يدعم بعض الأفراد صون اللغة، فيما لا يبالي بها البعض الآخر أو حتى يدعم تغييرها
1	يدعم عدد قليل من الأفراد صون اللغة، فيما لا يبالي بها كثيرون أو حتى يدعمون تغييرها
0	لا أحد يكترث بما إذا كانت اللغة قد أهملت، والجميع يفضل استخدام لغة سائدة

المواقف والسياسات اللغوية: التفاعل والتأثيرات الاجتماعية

تتفاعل المواقف حيال اللغة، سواء أكانت إيجابية أم غير مبالية أم سلبية مع السياسية الحكومية والضغوطات المجتمعية لتؤدي إلى زيادة أو تراجع في استخدام اللغة في مجالات مختلفة.

في الكثير من الحالات، يهمل أفراد المجتمع لغتهم اعتقاداً منهم بأن ليس لديهم خيار آخر أو لأنهم ليسوا ملمّين كفاية بالعواقب الطويلة الأمد التي تترتّب عن "خياراتهم". وغالباً ما واجه أشخاص في مثل هذه الحالة خيار "إما... أو" (إما أن تتمسك بلغتك الأم وهويتك لكنك لا تنال وظيفةً، أو تُهمل لغتك وتحظى بفرص أفضل في الحياة). في الواقع، إنّ صون كلا اللغتين واستخدامهما سيسمح بنيل فرص أفضل في الحياة.

عندما تتمتّع اللغات بميزان قوى متوازن، يتكلّم أفراد المجتمع عادةً لغتهم الأم واللغة السائدة على حد سواء، فيما غالباً ما يكون المتحدثون في المجموعة السائدة أحاديي اللغة. وقد يلجأ المتحدثون إلى استخدام اللغة السائدة وحدها بصورة تدريجية. من جهة أخرى، قد تقاوم المجموعة التابعة السيطرةَ اللغوية فتعبّئ أفرادها لتنشيط لغتهم وتحصينها. ولا بدّ من صياغة الاستراتيجيات لمثل هذه الفعالية اللغوية لتتناسب مع الوضع الاجتماعي اللغوي الخاص الذي هو عادةً واحد من الأنواع الثلاثة التالية:

* تنشيط اللغة: إعادة إدخال لغة كان استخدامها محدوداً لفترة، كاللغة العبرية بعد إنشاء دولة إسرائيل أو اللغة الغيلية (Gaelic) في أيرلندا؛

* تحصين اللغة: زيادة وجود اللغة غير السائدة لمعادلة تهديد تشكّله لغة سائدة كاللغة الويلزية (Welsh)؛

* صون اللغة: دعم الاستخدام المستقرّ، في التحدّث والكتابة (إذا توافر علم الإملاء)، للغة غير السائدة في منطقة أو بلد مع كلا أحادية اللغة ولغة سائدة (اللغة الفرنكية) كاللغة الماورية (Maori) في نيوزيلندا؛

في سبيل تحقيق حيوية اللغة، لا يقدّر الناطقون لغتهم تقديرا عاليا فحسب، بل يعلمون أيضاً في أية مجالات اجتماعية يجب دعمها. إنّ الموقف الإيجابي هو أمر ضروري لتحقيق استقرار اللغة على المدى الطويل.

تقييم الحاجة الطارئة إلى التوثيق

ينبغي تحديد نوع المواد اللغوية الموجودة وجودتها حتى نتمكن من معرفة تقييم الحاجة الطارئة لتوثيق لغة. وهذا يشكّل العنصر الأخير لتقييم خطر اندثار اللغة.

العامل التاسع: نوع التوثيق وجودته

إنّ النصوص المكتوبة، سواء كانت منقولة أو مترجمة أو وثائق سمع-بصرية والمذيلة بالتعبير الشفهي في إطاره الطبيعي، تزداد أهمية كونها تساعد أفراد المجتمع اللغوي على صياغة مهام محددة، وتسمح لعلماء اللغة بتصميم مشاريع بحث بالتعاون مع أفراد المجتمع اللغوي.

طبيعة التوثيق	الدرجة	توثيق اللغة
ممتاز	5	ثمة قواعد للغة وقواميس شاملة، ونصوص شاملة، ودفق مستمرّ للمواد اللغوية. وتتوافر بكثرة تسجيلات سمع-بصرية تفسيرية ذات جودة عالية
جيد	4	تتوافر على الأقل قاعدة جيدة للغة، وبعض القواميس والنصوص والأدب ووسائل إعلام يومية. وثمة تسجيلات سمع-بصرية تفسيرية مناسبة ذات جودة عالية
متوسط	3	قد تتوافر قاعدة للغة ملائمة، وبعض القواميس والنصوص، ولكن لا وسائل إعلام يومية. قد تتوافر تسجيلات سمعية بصرية متفاوتة من حيث النوعية ودرجة التفسير
مبعثر	2	ثمة بعض القواعد اللغوية، وقائمة مفردات، ونصوص مفيدة للبحث اللغوي المحدود، غير أنها ناقصة. قد تتوافر تسجيلات سمع-بصرية ذات نوعية متفاوتة، مع أو من دون أي تفسير
غير ملائم	1	ليس هناك إلا بعض القواعد اللغوية والمفردات، والنصوص المبعثرة. لا تتوافر التسجيلات السمع-بصرية، أو أن نوعيتها غير صالحة للاستعمال، أو خالية كلياً من أي تفسير
غير موثق	0	ليس ثمة مواد

مؤشر حيوية اللغات: تقييم أهمية العوامل

يصف هذا القسم كيفية استخدام العوامل التسعة المذكورة أعلاه. فإذا ما جُمعت معاً، تشكّل الجداول أداة مفيدة لتقييم الوضع اللغوي لمجتمع ما ونوع الدعم المطلوب لصون اللغة وإحيائها وتحقيق استمراريتها وتوثيقها.

تختلف حيوية اللغات اختلافاً كبيراً وفق أوضاع الجماعات اللغوية المختلفة. وتختلف أيضاً الحاجات إلى التوثيق باختلاف الشروط المتفاوتة. فلا يمكن تقييم اللغات بمجرد زيادة الأرقام الواردة أعلاه. لذلك، لا نحبّذ استخدام مجرد إضافة. بدلاً من ذلك، يمكن النظر في عوامل حيوية اللغة المذكورة آنفاً وفقاً لهدف التقييم.

إنّ الأوصاف المذكورة أعلاه هي مجرد مبادئ توجيهية مُقترحة. يجدر بكل مستخدم أن يكيّف هذه المبادئ مع السياق المحلي ومع الغاية المحددة المنشودة.

المثال الأول: التقييم الداخلي لمجموعة لغوية

قد تعتمد مجموعة لغوية على هذه العوامل من أجل تقييم وضعها اللغوي وتحديد ما إذا كان لا بدّ من القيام بعمل ما. وإذا كان العمل ضرورياً، فتحدّد الخطوة التي تبدأ بها. لهذه الغاية، تُعتبر العوامل الستة الأولى مفيدة بصورة خاصة مع أنّ العوامل كافة تكتسي أهميةً كبيرة. وقد يجد المجتمع أنّ الأجداد والجيل الأكبر سناً هم الذين يتكلّمون اللغة بصورة خاصة بحيث تُصنّف لغتهم بأنها "بحالة خطر شديد" (الدرجة الثانية) في ما يتعلّق بالعامل الأول الخاص بـ "بانتقال اللغة عبر الأجيال". بالإضافة إلى ذلك، قد يجد المجتمع أنّ اللغة تُستخدم بصورة خاصة في المناسبات الاحتفالية وفي المهرجانات المجتمعية. وفي ما يخصّ العامل الرابع بشأن "التغييرات في مجالات استخدام اللغة"، يمكن تقييم استخدام اللغة على مستوى "المجالات المحدودة أو الرسمية" (الدرجة الثانية). من جهة أخرى، قد يجد المجتمع أنّ "معظم أفراد المجتمع يدعمون صون اللغة" (الدرجة الرابعة، العامل الثامن "تصرّفات أفراد المجتمع حيال لغتهم الخاصة"). وفي هذا السياق، قد يستنتج أفراد المجتمع أنّ لغتهم تواجه خطراً بالغاً بالاندثار في فترة وجيزة إذا لم تُتخذ أي خطوة لمعالجة هذا الوضع. وقد اكتشفوا أيضاً أنّ أفراد المجتمع يرغبون بشدّة في عكس تغيير اللغة، وقد عبّروا عن دعمهم للجهود التي تُبذل لتنشيط اللغة. ما أن تأخذ المجموعة بالاعتبار المجموعة الكاملة للعوامل وتكمّل تقييمها الذاتي، ستتمتّع بقاعدة ذات أساس متين تمكّنها من طلب الدعم من الوكالات المختصة.

المثال الثاني: التقييم الخارجي

يمكن استخدام المبادئ التوجيهية أيضاً كأداة للسياسة يلجأ إليها عدد أكبر أو أقلّ من المؤسسات الرسمية المعنية بصون اللغة وتنشيطها وبتطوير محو الأمية أو التوثيق.

وعندما يتمّ النظر في أكثر من لغة، قد يصبح كلّ من العوامل المذكورة أعلاه نقطةً مهمة للمقارنة. وتؤدي مثل هذه المقارنة إلى مجموعة من الإمكانيات الآيلة إلى تحصين التنوع اللغوي في منطقة معينة. وقد تكون مفيدة في تصنيف خطورة تعرّض اللغات لخطر الاندثار بهدف الدعم: في تثقيف الرأي العام على أهمية التنوع اللغوي، وفي صياغة سياسة لغوية بهدف الحفاظ على التنوع اللغوي، وفي تعبئة الأخصائيين في اللغة لمواجهة تغيير اللغة، أو في تنبيه المنظمات الوطنية والدولية بشأن تضاؤل الموارد الفكرية الإنسانية (راجع الملحق رقم 1 للإطلاع على مثال عن مقارنة بين اللغات في فنزويلا).

الملاحظات الختامية

يواجه العالم تحديات جديدة في الحفاظ على التنوع اللغوي. ولقد آن الأوان لكي تتشارك شعوب العالم في مواردها على كافة المستويات وتستند إلى نقاط القوة التي يشكّلها تنوعها اللغوي والثقافي.

وعلى مستوى المجتمع المحلي، وخلال العقود المنصرمة، عمل الكثير من الناس على سبيل المثال على تطوير برامج تدريس اللغة، وغالباً ما كانت مواردهم التقنية محدودة للغاية. وخلافاً

ولعلماء اللغة والناشطين وصانعي القرارات أيضاً وظيفة طويلة الأمد تقضي بجمع ونشر الآليات الأكثر فعاليةً وحيويةً لتحقيق استدامة لغات العالم المهددة بالاندثار وتنشيطها. والأهمّ من ذلك، هم يضطلعون بمسؤولية التعاون في العمل مع المجتمعات المعنية باللغات المهددة بالاندثار التي تتمتّع بشراكة متكافئة في المشاريع.

نتقاسم جميعاً مسؤولية التأكد من أن لا لغة ستنقرض ضد إرادة المجتمع المعني، وأنه سيتمّ صون أكبر عدد ممكن من اللغات ونقلها إلى الأجيال المقبلة. إنّ السبب الذي يجعلنا نعزز التنوع اللغوي قد عرضه مسنّ من "نافاجو" (Navajo) من خلال قوله:

إذا كنت لا تتنفّس،

فما من هواء

إذا كنت لا تمشي،

فما من أرض

إذا كنت لا تتكلّم،

فما من عالم

[أعادت صياغتها "أكيرا ياماموتو" (Akira Yamamoto) من كلمات عجوز مسنّ من "نافاجو"، حلقات الألفية، تلفزيون PBS، الحكمة القبلية والعالم الحديث، استضافها دايفيد مايبوري لويس (David Maybury-Lewis) وبُثّت على الهواء بتاريخ 24 أيار/مايو 1992]

الملحق الأول: مثال على تقييم حيوية اللغة من فنزويلا [أعدّته ماريا إ. فيالون]

في هذه الوثيقة، تمّ اقتراح تسعة عوامل لتقييم حيوية اللغة. ويمكن تطبيق هذه العوامل على لغات عدة في آن للحصول على صورة مقارنة لقوتها النسبية، وتقدير وضعها الاجتماعي اللغوي المتباين، ووضع أولويات للعمل. يجسد المثال التالي التطبيق المقارن للعوامل في ثلاث لغات أصلية في فنزويلا، وهي بلد يعترف بلغات الأقليات ويحميها. إنّ لغة "مابويو" (Mapoyo) هي لغة كاريبية لم يعُد يتحدّث بها أحد بعفوية، إلا أنّ مجموعةً من المسنّين في مجتمع متعدد الإثنيات تتذكّرها، وهي مجموعة يتواصل جميع أفرادها باللغة الإسبانية التي هي أيضاً أول لغة يتعلّمها جميع أولاد "مابويو". و"كارينيا" (Kari'ña) أيضاً لغة كاريبية إلا أنّ عدد الذين يتكلّمون بها أكبر، ومعظمهم ثنائيو اللغة. ويتكلّم بعض المسنّين لغة "كارينيا" كلغتهم الأولى وبوسعهم التحدث بها بطلاقة، مع أنّ اللغة الإسبانية هي اليوم لغة التواصل المفضّلة لمعظم المتحدثين بلغة "كارينيا" والذين يفوق عددهم الثمانية آلاف. أما عدد المتكلّمين بلغة "سانيما" (Sanima) المتصلة بلغة "يانومامي" (Yanomami)، فيفوق الألفين، إلا أنّ القليل منهم ثنائي اللغة في اللغة الإسبانية السائدة.

يشير "عدد الناطقين" في الجدول أدناه إلى عدد الناطقين الكفء للغاية. وفي ما يخصّ لغتَي "كارينيا" و"سانيما"، إنّ الأرقام الواردة هي مجرّد تقديرات إذ إنّ الإحصائيات الحديثة الموثوقة غير متوافرة. أما الأرقام الواردة عن لغة "مابويو"، فهي أكثر دقةً وتستند إلى العمل الميداني الحديث نسبياً [5]. وهي توضع بين هلالين للإشارة إلى أنّها تحدّد كمية "المتذكّرين" بدلاً من الناطقين. وفي ما يتعلّق بـ"مواد تدريس اللغات ومحو الأمية"، منحتُ "مابويو" الدرجة الأولى لأنه تمّ تطوير علم إملاء عملي خاص بها للمرة الأولى وسيُقدّم إلى المجتمع بعد فترة قصيرة، مع مواد تعليمية سمع-بصرية [6]. أخيراً، ومع أنّ لغة "سانيما" الفنزويلية هي فعلاً غير موثّقة، تتوافر تسجيلات غير تفسيرية ذات نوعية متنوعة، بالإضافة إلى رسم نحوي عن التنوع البرازيلي المتّصل اتصالاً وثيقاً والموثوق بطريقة أفضل. بذلك، يمكن تصنيفها الأولى في "كمية التوثيق ونوعيته".

درجة خطر الاندثار المقدّرة والحاجة الطارئة للتوثيق
حال ثلاث لغات فنزويلية أصلية

العوامل	اللغات		
	مابويو (Mapoyo)	كارينيا (Kari'ña)	سانيما (Sanima)
انتقال اللغة عبر الأجيال	0	2	5
العدد المُطلق للمتحدثين	(7)	650	2500
نسبة المتحدثين من إجمالي عدد السكان	1	2	5
التغييرات في مجالات استخدام اللغة	0	2	5
مواجهة مجالات جديدة ولوسائل الإعلام	0	1	---
مواد تدريس اللغات ومحو الأمية	1	3	0
التصرّفات والسياسات اللغوية الحكومية والمؤسسية، بما فيها وضع اللغة الرسمي واستخدامها	5	5	5
تصرّفات أفراد المجتمع حيال لغتهم الخاصة	2	3	5
كمية التوثيق ونوعيته	1	3	1

الملحق الثاني: شكر

عُقدت ندوة عمل مكثفة لصقل هذه الوثيقة بصورة أفضل في كيوتو، اليابان من الثاني والعشرين حتى الخامس والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر 2002، بحضور ألكسندرا أيكهنفالد، ماتياس برانزينغر، آريان دوبير، تجيرد دي غراف، شيغاكي كاجي، مايكل كروس، أوساهيتو مياووكا، نيكولاس أوستلر، هيناكو ساكاموتو، فوميكو ساساما، سوزوكو تامورا، تاساكو تسونودا، ماريا إ. فيالون، كيميكو ياساكا، أكيرا ياماموتو.

وفي الثالث والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر، وخلال المؤتمر الدولي الرابع المتزامن المعني باللغات المهددة بالاندثار في المحيط الهادئ، تقدّم العديد من المشاركين باقتراحات قيّمة، بمن فيهم ساشيكو آيد وأوسكار إ. أغيليرا وهيناكو ساكاموتو، ويوكيو أويميرا .

كما نشكر معلّمي اللغة الأميركية القومية من أوكلاهوما وكانساس الذين يمثلون 14 مجتمعاً لغوياً مختلفاً على مساهمتهم في صياغة توصياتٍ في هذه الوثيقة. وقد شارك هؤلاء المعلّمين في مجموعة من الندوات التدريبية التي امتدتّ على يومين خلال العام 2002، بدعم من مؤسسة فورد وجمعية أوكلاهوما للغة القومية ومعهد اللغة الأصلية.

خلال الأشهر العديدة التي استغرقتها الفترة التحضيرية، تقدّم عدد من الأخصائيين باقتراحات بشأن النسخات الأولى للوثيقة، وهم: ألكسندرا أيكهنفالد، ديبورا أندرسن، مارسيلينو بيراردو، هـ. روسيل برنار، ستيفن بيرد، سيباستيان درود، نيك إيفانز، برنار كومري، بروس كونيل، أوستين داهل، برونا فرنشيتو، راكيا جيراريلو، ك. ديفيد هاريسون، ترايس هيراتا إيدز، ماري لين، لويزا مافي، دوغ مارميون، جاك مارتين، مايك ماكسويل، ستيف موران، غاباس نيلسون، ليزيت بيتر، ناتان بويل، مارغاريت رينولدز، هيناكو ساكاموتو، غونتر سينفت، توف سكوتناب كانغاس، بيتر وينبورغ، كيميكو ياساكا.

وخلال اجتماع الخبراء الدولي حول برنامج اليونسكو بشأن صون اللغات المهددة بالاندثار (باريس، مقر اليونسكو، 10- 12 آذار/مارس 2003)، تقدم المشركون بالعديد من التعليقات والاقتراحات المفيدة. نُعرب لهم عن جزيل شكرنا، ولا سيما لحضرة السيد أولابيي بابالولا جوزيف ياي.

ساهم الأشخاص التالية أسماؤهم، بصفتهم أعضاء في فريق خبراء اليونسكو الخاص، في صياغة وثيقة حيوية اللغة وتعرّضها لخطر الاندثار.

ماتياس برانزينغر Matthias.brenzinger@uni-koeln.de

آريان دوبير anthlinguist@ku.edu

تجيرد دي غراف tdegreef@fa.knaw.nl, degraaf@let.rug.nl

كوليت غرينفالد Colette.Grinevald@univ-lyon2.fr

مايكل كروس ffmek@uaf.edu

أوساهيتو مياووكا omiyaoka@utc.osaka-gu.ac.jp

أوسامو ساكياما sakiyama@shc.usp.ac.jp

ماريا إ. فيالون atchim@etheron.net

أكيرا ياماموتو akira@ku.edu

أوفيليا زيبيدا ofelia@u.arizona.edu

ملاحظات

(1) إنّ الصفحات الواردة في مقدمة هذا النص هي بقلم أريان دوبير، وماتياس برانزينغر، وأكير ي. ياماموتو.

(2) في خلال هذا النص، شمل مصطلح "لغة" لغات الإشارة، ومصطلحا "خطاب" و"المجتمعات المعنية باللغات المهددة بالاندثار" يشيران أيضاً إلى المجتمعات المعنية بلغات الإشارة

(3) راجع المقالة الواردة أدناه بقلم مياووكا (Miyaoka) عن مشروع المحيط الهادئ

(4) cf.www.unesco.org/culture/heritage/intangible/meetings/paris_march2003.shtml#_ftn2

(5) Villalón, María Eugenia & Tania Granadillo. Los marcadores de Persona de la Lengua Mapoyo. In Hein van der Voort and Simon van de Kerke (eds.),

اللغات الأصلية للأراضي المنخفضة من أميركا الجنوبية، منشورات CNWS، الجزء 90، لايدن، جامعة لايدن (Leiden)، 2000، 197-211

(6) María Eugenia Villalón. *Registro y Documentación de las Lenguas Indígenas Mapoyo y Kari'ña del Estado Bolívar. Parte I*: *Mapoyo.* Caracas: Instituto del Patrimonio Cultural, 1999

(7) Donald M. Borgman. Sanuma. In Desmond C. Derbyshire and Geoffrey K. Pullum (eds)، كتاب اللغات الأمازونية، الجزء الثاني، نيويورك، موتون دي غرويتر (Mouton de Gruyter)، 1990، 16-248